مؤتمر الصومام ومهام الإعلام الثوري *

أ. أحمد حمدي

معهد علوم الإعلام والإتصال - جامعة الجزائر

مقدمة:

يعد موضوع الإعلام أثناء الثورة التحريرية على درجة كبيرة من الأهمية حيث يميط اللثام عن جانب أساسي وهام من تاريخ الثورة الذي مازال في حاجة ماسة إلى التكفل بجمعه؛ والعناية بدراسته؛ وباعتباره كذلك جزءا كبيرا من تراث الثورة المكتوب والذي ينبغي العمل على تحقيقه وإعادة نشره من خلال منهج علمي دقيق يعطى للثورة حقها على أساس أنها ثورة أفكار قبل أن تكون ثورة نزال ومعارك.

ان البحث في موضوع وثيقة الصومام ومهام الإعلام الثوري كمجال للدراسة؛ نابع من فرضية أساسية تشير إلى أن هذا المؤتمر قد كرس جانبا هاما من أشغاله لقضية الإعلام؛ اصدر على أثرها وضمن أرضيته مبادئ وقواعد

وأفكار هي في غاية الأهمية من حيث التأسيس والتوجيه للإعلام الجزائري سواء أثناء الثورة أو بعدها؛ كما أسفر عن قرارات تنظيمية ظلت تطبع السيرورة الإعلامية في بلادنا.

وهكذا؛ حسب اعتقادي؛ فإن الحديث عن الإعلام أثناء الثورة؛ يقتضي بالضرورة معالجة ودراسة المبادئ التي تشكل المنظور والتصورات الأساسية لمهام ودور الإعلام؛ وهو ما احتوت عليه وثائق مؤتمر الصومام.

وينبغي علي؛ بادئ ذي بدء؛ أن أشير إلى أنني قد تطرقت إلى جوانب عديدة من القضايا التي أطرحها هنا في دراسة جامعية سابقة(1). بيد أنني أحاول هنا اعادة البحث - حسب معطيات جديدة - في جوانب ظلت في حاجة إلى المزيد من الدراسة والتنقيب؛ على أساس اعتبارها امتدادا وتطويرا لما تم بحثه فيما سبق، اضافة إلى محاولة القيام بقراءة إعلامية جديدة؛ بناء على الطبعة الأخيرة لوثائق مؤتمر الصومام التي تبدو أنها أكثر دقة وشمولية مما سبق نشره؛ خاصة وقد اشرفت على إعادة النشر هذه وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الأربعين؛ لهذا الحدث الوطني الهام؛ وذلك من خلال المحاور التالية:

أولا - مفاهيم ومبادئ الإعلام في وثيقة الصومام.

ثانيا - رجال الإعلام.

ثالثا - وسائل الإعلام.

أولا: مفاهيم ومبادئ الإعلام في وثيقة الصومام:

تقسم الوثيقة أو «القاعدة الأساسية لمؤتمر الصومام»(2) إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

1 - الحالة السياسية الحاضرة.

2 - البوادر العامة.

3 - وسائل العمل والدعاية.

وواضح أن القسم الثالث هو المكرس لقضايا الإعلام؛ كما أنه لا يخفى على القارئ المتمعن، من الوهلة الأولى، أن يلاحظ ذلك الربط المقصود بين العمل والإعلام؛ الأمر الذي يشير إلى دلالات عميقة وجد صائبة؛ فالدراسات الحديثة تؤكد أن لا تأثير لإعلام لا يعبر عن أفعال ووقائع حقيقية.

كما أن الأفعال والأعمال التي لا يسندها إعلام قوي؛ يتماشى مع محيطه الوطني والدولي؛ تبقى حبيسة محيطها الضيق الأمر الذي يجعلها قاصرة في أداء أهدافها، وهكذا فالوثيقة التي استعملت كلمة الدعاية إنما تريد بذلك؛ ومن خلال هذا السياق؛ الدلالة على الإعلام الملتزم بالثورة؛ وبهذا الصدد نشير إلى أنه بات من الصعوبة بمكان التمييز بين الأنواع الإعلامية التي لم يعد هناك تلاغ بينها بل تلاق عضوي؛ حيث تقول الباحثة المصرية الدكتورة جيهان أحمد رشتي:

«من الصعب علينا في بعض الأحوال أن نفرق بين الدعاية والإعلام والعلاقات العامة، فالقول بأن الدعاية هي محاولة مقصودة وواعية لتثبيت اتجاه أو تعديل أو رأي يتصل بمذهب أو برنامج، في حين أن الإعلام يعمل على نقل حقائق تحكمها الموضوعية والصدق، رأي غير دقيق تماما، وذلك لأن الدعاية قد تنقل حقائق موضوعية وصادقة؛ كما أن الإعلام قد يكون محاولة مقصودة وواعية لتدعيم أو لتثبيت اتجاه أو تعديله أو تغييره تماما، كذلك القول بأن الدعاية تؤثر على العاطفة والغرائز؛ والإعلام يؤثر على العقل أيضا غير دقيق، فالإعلام قد يلجأ إلى التأثير على العاطفة أيضا؛ كما أن الدعاية قد تعمل على بل وهي تعمل أساسا للتأثير على العقل بالمنطق والحجج القوية. والقول بأن الدعاية تعتمد على الأكاذيب وانصاف الحقائق والحقائق المنزوعة من إطارها، في حين أن الإعلام يركز على الحقائق فقط لم يعد صحيحا؛ فالدعاية الماهرة التي يقر لها النجاح هي الدعاية الصادقة التي تعتمد على الحقائق»(3).

وبعد هذا التوضيح الضروري؛ يمكن لنا القول بأن هذه الوثيقة الصادرة عن مؤتمر الصومام قد استطاعت أن توجز المبادئ الأساسية التي ينبغي أن يرتكز عليها إعلام الثورة في الفقرة التالية:

«يجب التشبع جيدا بالمبدأ التالي، وهو: الدعاية ليست الاثارة التي تتميز بالهرج وعنف القول الذي يكون عقيما وفاشلا في أغلب الأحيان. أما وقد

أصبح الشعب الجزائري مدركا للأوامر، ومستعدا للعمل المسلح الايجابي، فإن خطاب جبهة التحرير يجب أن يكون معبرا عن رشد الشعب باتخاذه شكلا جديا متزنا معتدلا دون أن ينقصه الحزم والصدق والحماس والصرامة الذي هو من طبيعة الثورة»(4).

ان القراءة المتأنية والفاحصة لهذه الفقرة تبين النقاط التالية؛ على اعتبار أنها مبادئ إعلامية واضحة؛ وقد أثبتنا ذلك في دراسة خاصة(5) وهذه المبادئ هي:

أ - الاثارة والهرج.

ب - عنف القول.

جـ - التعبير عن رشد الشعب.

د - الحزم والصرامة.

هـ - الصدق.

و - الحماس.

ويمكن أن يضاف إلى هذه المبادئ مبدأ آخر لم يدرجه بيان الصومام في قسم «وسائل العمل والدعاية» وإنما أدرجه في القسم الأول - فقرة، تنظيم سياسي فعال - وهو المبدأ المتعلق بنبذ تقديس وعبادة الفرد.

والواقع أن هذه الأسس؛ بعد تفحصها بإمعان تشير إلى وجود مبادئ ثابتة ومبادئ مرحلية(6).

فالمبادئ الثابتة تتمثل في:

- الصدق.

- التعبير عن رشد الشعب.

- الهرج والاثارة.

- عنف القول.

أما المبادئ المرحلية فهي:

- الحزم والصرامة.

- الحماس.

إن تحليل هذه المبادئ يؤكد تطابقها تماما مع نتائج الدراسات الإعلامية الحديثة إذ أن الإعلام المبتذل والإعلام الإستفزازي والإعلام الكاذب؛ وكل إعلام يتسم بالاثارة؛ لا يمكن أن يقوم بمهام ودور يكون في خدمة الثورة، لاسباب عديدة ليس بمقدور هذه الدراسة تناولها هنا بالتفصيل.

ثانيا: رجال الإعلام:

من المعروف أن مؤتمر الصومام، إضافة إلى وثيقته أو أرضيته السياسية، كان قد أصدر قرارات هامة؛ تعتبر من الناحية المنهجية؛ وكذلك من حيث المضمون؛ جزءا لا يتجزأ من وثائق المؤتمر. كما تعتبر هذه الوثائق الجانب

التطبيقي للأرضية؛ وبهذه الخاصية تطرقت القرارات إلى رجال الإعلام وهم هنا الثوار والمحافظون السياسيون إضافة إلى الصحافيين الثوريين.

فالمحافظون السياسيون الذين جعلهم المؤتمر نوابا لقادة الولايات قد حدد مهامهم وصلاحياتهم كالتالي:

(تتمثل مهام المحافظ السياسي في تنظيم الشعب؛ وتربيته والدعاية والإعلام والحرب النفسية - العلاقة مع الشعب والأقلية الأوربية وأسرى الحرب - بالإضافة إلى ذلك يسهم المحافظون السياسيون بآرائهم في برامج العمل العسكري الذي يقوم به جيش التحرير الوطني وكذلك فيما يتعلق بالتمويل والتموين)(7).

وهذ النص يشير بكل وضوح إلى المهام الملقاة على كاهل المحافظ السياسي باعتباره رجل إعلام بالدرجة الأولى وهذه المهام تتمثل في:

- تنظيم الشعب وتثقيفه سياسيا.

- الدعاية والإعلام والتوجيه بما يتماشى وتوجيهات جبهة التحرير الوطني.

- القيام بالحرب النفسية على أسس علمية.

أما فيما يتعلق بتنظيم الشعب فقد نصت القرارات على ما يلي:

«تنظيم الشعب وتهذيبه عن طريق اللجان الثلاث: - اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ولجنة الأخبار والإتصال والإستعلامات - التي تستحدث

في كل قرية لتنظيم خلايا جبهة التحرير الوطني؛ وهذه اللجان الثلاث هي التي يطلق عليها إسم المنظمة السياسية الادارية؛ وتؤسس في كل قرية ودوار ومدينة؛ وينضوي تحتها الشباب والشيوخ والنساء والفتيان، ويتبعها المسبلون، ويقوم المحافظ السياسي بارشاد هذه اللجان وإبلاغها أخبار الثورة وتعليماتها، وتتولى جمع أعضاء الخلية للمحافظ السياسي ليلقي عليهم الارشادات والتعليمات والأحاديث التهذيبية في مختلف الشؤون النافعة، وفي هذا المجال على المحافظ السياسي أن يحرص كثيرا على ألا يحدث تصادما أو خصاما على السلطة والنفوذ، بين هذه اللجان الثلاث وبين اللجان المنتخبة - مجالس الشعب - وعليه أن يحدد لكل فرع اختصاصه»(8).

وفيما يتعلق بالدعاية والأخبار والتوجيه فقد قرر ما يلي: «المحافظون السياسيون هم المسؤولون كذلك؛ على إذاعة ونشر أخبار وأوامر جبهة التحرير الوطني ومطبوعاتها - المجاهد والمقاومة الجزائرية - ومختلف المنشورات الأخرى، فعليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ويستعملوا مختلف الوسائل حتى ينشروا أخبار الثورة ويبلغوها إلى كل مكان وكل واحد لأن الدعاية سلاح حاد وفعال جدا، وذلك باستعمال الآلات الكاتبة وآلات السحب، بغية الاكثار من مطبوعات جبهة التحرير الوطنية؛ وتوزيعها في كل مكان، وعليهم إطلاع اللجان الوطنية بكل ما يحدث في القسمة والناحية والمنطقة والولاية من مآثر جيش التحرير الوطني وانتصاراته ومعنويات السكان وجرائم جيش الاحتلال،

وعليهم كذلك أن يعملوا جهدهم لرفع معنويات السكان والمجاهدين والمسبلين والفدائيين وذلك بعقد ندوات دورية اخبارية توضيحية»(9).

أما بالنسبة لأهمية الحرب النفسية ودورها فقد ذكرت الوثيقة أنه:

«لقد حاول الاستعمار الفرنسي بمختلف الوسائل أن يفصل الشعب الجزائري عن المجاهدين، واستخدم لهذه الغاية أخس الوسائل وأنذلها، فندد بالمجاهدين ووصفهم بمختلف الأوصاف الذميمة مثل: - الفلاقة - وقطاع الطرق - والخارجين على القانون - وسلط القمع الوحشي على الشعب والأهالي حتى يرغمهم على التخلي عن جيشهم التحريري، وحاول أن يحقق بعض الإصلاحات في الميدان الإجتماعي حتى يغري الناس بالتخلي عن الثورة، وهو ما يسمى بالحرب النفسية من أجل ذلك كانت مهمة المفوض السياسي في هذا الميدان عظيمة جدا، وأصبح واجبا عليه أن يرد على كل أكاذيب الاستعمار وأساليبه الرخيصة؛ ويوثق علاقات الأخوة وعرى الوحدة والتكامل بين الشعب والمجاهدين باستمرار؛ وفي هذا الميدان كان على المحافظين السياسيين أن يكونوا مثالا يحتذى في حسن السيرة والسلوك والأخلاق، وعلى الجنود والضباط وقادة الوحدات أن يتجنبوا كل ما يسئ لسمعتهم وسمعة الثورة، وعلى المحافظين السياسيين أن يعملوا على الاطلاع على الصحف والنشريات حتى يعرفوا ويطلعوا على ما يجري من الأحداث والتطورات داخل الجزائر وخارجها، وعليهم أن يقدموا تقارير إلى قيادات جيش التحرير عن رأيهم في النشاط العسكري»(10).

وهكذا فإن مفهوم رجل الإعلام الثوري في أدبيات ميثاق الصومام؛ يتعارض مع المفهوم الكلاسيكي؛ إذ أن رجل الإعلام يشكل ركنا من قيادة الثورة؛ كما أنه مندمج في الثورة بكل فعالياتها؛ بل وهو مطالب بالدفاع عنها والاستشهاد من أجلها؛ وليس ناقلا للأخبار فقط بشكل حيادي، بل انه أقرب إلى الداعية منه إلى الصحفي.

وقد تجسد هذا المفهوم لرجل الإعلام من خلال صحيفة المجاهد وخاصة في أعدادها الأولى حيث كتب فيها كبار قادة الثورة مثل الشهيد محمد العربي بن المهيدي وعبان رمضان وكريم بلقاسم وأغلب قادة الولايات المعروفين، كما راسل هذه الصحيفة جنود بسطاء سجلوا فيها انطباعاتهم وكتبوا أفكارهم ونشروا أحاسيسهم؛ كما تم توزيعها بشكل ثوري تضامني؛ وعبر طرق الامدادات التي شقتها الثورة لجلب وتوزيع الأسلحة داخل الوطن.

ثالثا: وسائل الإعلام

لقد كانت حاجة الثورة إلى إعلام ثوري.. إعلام جديد يتماشى وما تنتجه المعطيات الراهنة والتطورات والنتائج التي تتحصل عليها الثورة؛ ومن ثمة فقد بدأت الثورة بالمنشور السياسي باعتباره وسيلة إعلامية؛ وأشهره وأهمه على الإطلاق هو بيان أول نوفمبر؛ وجاء بعد المنشور السياسي دور الإعلام المسموع والمكتوب؛ وذلك من خلال الحصص الاذاعية لصوت الجزائر في

البلدان الشقيقة والصديقة؛ ومن خلال الصحف والمجلات التي تناصر الثورة الجزائرية؛ ويمكن القول؛ بأن صحافة الإستعمار قد ساهمت - من حيث لا تدري - بنشر فكرة الثورة وذلك من خلال تهجمها الصارخ وتحريفاتها المكشوفة وتزييفها للوقائع والأحداث.

وتم في هذه الفترة كذلك إصدار العديد من النشريات؛ إضافة إلى صحيفة (المقاومة الجزائرية) بطبعاتها الثلاث: الجزائرية - التونسية - المغربية، و(المجاهد). بيد أن مؤتمر الصومام قد لاحظ أن بعض الاضطراب قد أصبح يشوب أداء الإعلام الثوري؛ نتيجة تعدد الألسنة الناطقة باسم الثورة، وهكذا فقد أصدر المؤتمر أوامره بضرورة توحيد اللسان الناطق باسم الثورة؛ وهو الأمر الذي تجسد بالفعل في القرار الذي أصدره المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الثانية المنعقدة بتاريخ 20 - 27 أوت 1957 وبمقتضاه أصبحت المجاهد وابتداء من العدد الثامن الناطق الرسمي الوحيد باسم الثورة.

وقد سجلت (المجاهد) هذا الحدث في افتتاحية أول عدد ناطق باسم الثورة بشكل رسمي، إذ كتبت تقول: «ابتداء من اليوم يصدر - المجاهد - باعتباره جريدة الثورة الجزائرية ولسانها الوحيد .

إذن فقد انتهى صدور - المقاومة الجزائرية - على طبعاتها الثلاث (الأولى، الثانية والثالثة). سيوحد المجاهد؛ وهو اللسان الناطق عن جبهة التحرير الوطني؛ الأنباء المتعلقة بكفاحنا ليقوي دعوتنا ويزيدنا تأثيرا ونفوذا، فهذا العدد (8) سوف لا يواصل السير على شكل الأعداد السابقة»(10).

ويضيف في مكان آخر حيث نلمس تحديدا وضبطا دقيقا لدور ومهام وسائل الإعلام: «ان اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني سيتولى تفسير وشرح الثورة الجزائرية التي تعبر عن إرادة اثني عشر مليونا من النساء والرجال»(11).

ونشير إلى أنه بالإضافة إلى صحيفة المجاهد؛ هناك أيضا في مجال الصحافة المكتوبة؛ المنشورات وبرقيات وكالة الأنباء، وصحف المنظمات الجماهيرية، وفي المجال السمعي هناك إذاعة الجزائر الحرة؛ وصوت الجزائر من الاذاعات الشقيقة والصديقة، وفي المجال السمعي - البصري هناك الأفلام الوثائقية والأفلام الخيالية، وهكذا فقد أنشئت وأسست في فترة قصيرة جدا مختلف أجهزة الإعلام الحديثة استجابة لحاجة الثورة وتنفيذا لقرارات مؤتمر الصومام.

وهكذا فإن وسائل الإعلام تقوم بدور رئيسي ومحدد لا ينحصر في مهمة الشرح والتفسير فحسب، بل تقوم بأعظم من ذلك ألا وهو انتاج التراث الفكري لثورة التحرير الكبرى.

وما يمكن تسجيله في الختام؛ هو أن الثورة قد استطاعت أن تحول منظور الإنسان الجزائري من منظور سلبي؛ يرتكز على أن وسائل الإعلام قد أوجدها الاستعمار لبسط هيمنته الفكرية؛ إلى وسائل أصبحت سلاحا فعالا في خدمة الثورة؛ ومثلما عملت الحركة الوطنية على تحويل الصحافة المكتوبة المثقلة

بتاريخ صحيفة (المبشر) الاستعمارية إلى صحافة تحمل بعضا من المطامح والأحاسيس الوطنية جعلت القارئ الجزائري يكتشف أن الصحيفة قد تكون سلاحه الفعال لمحاربة العدو؛ كذلك عملت ثورة التحرير على جعل المستمع الجزائري يكتشف أن الراديو أيضا يمكن أن يكون سلاحه الفعال؛ وبالفعل فإن هذا الجهاز قد أصبح سنة 1955 الوسيلة الإعلامية الوحيدة التي تمكن الجزائري العادي من الاطلاع على أحداث ووقائع الثورة من خلال مصادر إعلامية غير المصادر الاستعمارية؛ وكذلك باعتبار الراديو الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها اختراق الحصار الإعلامي المضروب على الجزائر؛ خصوصا وأن إذاعة صوت الجزائر قد بدأت في هذه الأثناء تبث حصصها من الاذاعات الشقيقة والصديقة للثورة الجزائرية.

وفي نهاية سنة 1956 وزعت آلاف المنشورات على الجزائريين معلنة وجود (صوت الجزائر الحرة) وتضمنت هذه المنشورات ساعات الإرسال وتوضيحات حول طول موجات البث؛ وفي بحر 20 يوما استنفذت كل الكميات المخزنة من أجهزة الراديو(11).

وقد أذهل - في هذه الفترة - إقبال الجزائريين على شراء أجهزة الراديو السلطات الاستعمارية التي لم تدرك سبب هذا التغير المفاجئ في الموقف من جهاز الراديو وهو موقف كان يتسم بالسلبية؛ أكده علماء النفس والاجتماع الاستعماريون الذين كانوا يردون ذلك إلى ما تتحلى به الأسرة الجزائرية من روح محافظة وتقاليد صارمة لا تتماشى وروح الانفتاح التي يعمل على بثها

هذا الجهاز؛ متناسين أن الجزائري كان ينظر للراديو باعتباره وسيلة إستعمارية؛ وقد أسهب فرانز فانون المفكر الذي صقلته الثورة الجزائرية بروحها؛ في تفسير ذلك من خلال كتابه الشهير (سوسيولوجية ثورة) حيث أكد أن الانسان الجزائري قد أصبح يجد في هذا الجهاز ما يستجيب لطلباته؛ وهو ما يتوافق مع ما وصلت النظريات الحديثة في مجال الإعلام والإتصال والتي تقول أن الأفراد لا يستهلكون أو يعرضون أنفسهم لوسائل الاتصال بسهولة أو بشكل عشوائي؛ بل يتقبلون الوسائل التي تقول شيئا يتفق مع إتجاهاتهم وإهتماماتهم؛ ويتجنبون بقصد وإدراك المعلومات التي لا تتفق مع آرائهم وإتجاهاتهم(12).

تلك هي مجمل المبادئ والمنطلقات التي أطرت إعلام الثورة وكانت مستمدة كما رأينا من ثاني أهم وثيقة في تاريخ الثورة الجزائرية.

الهوامش:

* قدمت هذه الدراسة خلال الملتقى الوطني الأول للإعلام خلال الثورة التحريرية (1996) المنظم من قبل وزارتي المجاهدين، والإتصال والثقافة.

(1) أحمد حمدي «الإعلام والثورة الجزائرية .. دراسة في الإعلام الثوري» منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط 2، الجزائر 1995 .

(2) وزارة المجاهدين «وثائق مؤتمر الصومام» منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996 ص 27 .

(3) جيهان أحمد رشتي «الإعلام ونظرياته في العصر الحديث» دار الفكر العربي، ط 1 القاهرة - 1975 ص 587 .

(4) وزارة المجاهدين ... المرجع السابق، ص 53 - 54 .

(5) أ. حمدي، المصدر السابق، ص: 92 .

(6) المصدر نفسه، ص 99 .

(7) وزارة المجاهدين: المصدر السابق: ص 19 .

(8) حمدي: المصدر السابق: ص ص 89 - 99 .

(9) المصدر نفسه.

(10) المجاهد، العدد 8 أوت 1957 ص 1 .

(11) المصدر نفسه.

(11) ح. راشدين «الاعلام في حرب التحرير» جريدة الجمهورية عدد أول نوفمبر 1978 .

(12) د. حلمي خضر ساري (صورة العرب في الصحافة البريطانية) مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت 1988 ط 2: ص 175 .